لستَ فأساً ولستُ شجرة

شعر

حسن إبراهيم الحسن



شعر

لستَ فأساً

ولستُ شجرة

حسن إبراهيم الحسن



Kitabın Adı : Balta Değilsin Ağaç Değilim
Yazar : Hasan İbrahim ALHASAN
Kapak : Hasan İbrahim ALHASAN

1. Baskı : Ağustos 2020 ANKARA

ISBN : 978 - 625 - 7838 - 36 - 8
Yayın No : 854

SONÇAĞ KÜLTÜR

İstanbul Cad. İstanbul Çarşısı No.: 48/49 İskitler 06070 ANKARA

T / (312) 341 36 67 - GSM / (533) 093 78 64

www.soncagyayincilik.com.tr

soncagyayincilik@gmail.com

Yayıncı Sertifika Numarası: 47865

BASKI MERKEZİ



UZUN DİJİTAL MATBAA, SONÇAĞ YAYINCILIK MATBAACILIK TESCİLLİ MARKASIDIR.

İstanbul Cad. İstanbul Çarşısı No.: 48/48 İskitler 06070 ANKARA

T / (312) 341 36 67

www.uzundijital.com

uzun@uzundijital.com

لستَ فأساً ولستُ شجرة

لستَ فأساً ولستُ شجرة

الكتاب: لستَ فأساً ولستُ شجرة

شعر: حسن إبراهيم الحسن

الطبعة الأولى 2020

Sonçağ، أنقرة، تركيا

الغلاف: حسن إبراهيم الحسن

الفهرس

فهرس المعادن

سيرة ناقصة

الأشجار..

صديقات دربي الوفيّات من أثينا إلى برلين،

كنّا نمزِّقُ ثيابنا ونربطها بأغصانهنّ

كي نرسم الطريق لمن يتبعون خطانا

وندَّعي أنّنا سنرجع يوماً من هنا.

I

من سيرة الشجرة

ورقة أولى

لترفع أهراماتها الخضراء
لا بدَّ للشجرة من جذورٍ تحفرُ الأرض
مثلَ العبيد.

شجرة 1

شجرة الميلاد ضحيتنا الأنيقة
نزيّن جثّتها وننصبها في الساحات
لنلتقط معها الصورَ التذكاريّةَ
مثلما يفعلُ الجندُ في بلادي بعد المجزرة.

شجرة 2

الشجرةُ..
التي أنجبتْ أذرُعَ الفؤوس
تعلمُ أنَّ أبناءها عائدونَ في الشتاء مع الحطّاب
كي يحملوها إلى المواقد

الشجرةُ..
تعرفُ أبناءها العائدين غصناً.. غصناً
حتى وإنْ جفَّ الماءُ في عروقهم
وتشبَّهوا بالمعادن

الشجرةُ..
تعلمُ أنها ستصيرُ ورقاً لكراريسِ المدارس، للنعواتِ،

لرسائلِ الحبِّ،
للصحف التي تحمل كل يومٍ صورة الجنرال
وابتسامته المعدنيّة، ...

ستصيرُ ورقاً ليكتبَ قاتلٌ: "الشجرةُ أخمصُ بندقيّةٍ"
ويكتبَ شاعرٌ:
"الشجرةُ مظلّةُ عاشقينِ،
الشجرةُ سريرُ طفلٍ"

الشجرةُ..
أمٌّ تنجبُ الأضداد وتبكي في جنائزهم جميعاً.

سروة الميلاد

أستعيرُ من الغابةِ سروةً،

أسمّيها سروةَ الميلاد كي تنسى نداء الريح

وتعتاد نبرَ صوتي كفردٍ من العائلة

أستعيرُ لسروةِ الميلاد تفاحةً

فربّما – ككلِّ العواقرِ– يحلو لها أنْ تكونَ أمّاً ولو بالتبنّي

أستعير لها جرسَ خروفٍ

لترنَ ضحكتُها إذا مسَّها طفلٌ

أستعير لها..

نجمةً نحاسيّةً من بزَّةِ الجنرال

أستعيرُ لها جوربَ طفلٍ،

دميةً،

دبّوسَ شعرٍ

وثلجاً كاذباً من قطنِ الوسائدِ لأبدِّدَ وحشةَ الإسمنت حولها

لا أُجلسُ سروةَ الميلادِ قربَ المدفأة

كي لا ترى أطفالها جثَّةً.. جثَّةً يتفحَّمونَ في المحرقة

ولا أُجلسُها قربَ النافذة

كي لا ترمقَ أمَّها الغابةَ من وراءِ الزجاجِ مثلَ السجين

لا أُجلِسُ قُربها صديقي الذي نجا من الحربِ بساقٍ معدنيَّةٍ

كي لا تتذكرَ ساقها المبتورةَ

ولا أحدِّثُها عن الحربِ

كي لا أوقظَ من ذكرياتها ضربةَ الفأس

لا أقولُ لسروةِ الميلادِ: "أحنُّ إلى دمشق"

كي لا تحنَّ إلى الغابةِ

ولا أقولُ لها مثلاً:

"في ليلةِ الميلادِ، شرقَ الأبيضِ المتوسطِ،

على رصيفٍ ما

تفَّاحةٌ،

جوربُ طفلٍ،

دميةٌ،

جرسٌ،

ساقٌ مبتورةٌ،

ثلجٌ أحمرٌ...

وعلى رصيفٍ آخرٍ نجمةٌ نحاسيَّةٌ تلمعُ

على كتفٍ تحملُ بندقيَّةً".

فيسلهوفيده، ألمانيا : 25 - 12- 2016

وصايا الشجرة

حينَ لا تعجبكَ الضفّةُ الأولى
تستطيعُ أن تختارَ الضفّةَ الأخرى،
فأنتَ لستَ شجرة[1]

تستطيعُ أن تسيرَ مع النهرِ أو ضدَّهُ
لا طوعَ مشيئة الماء،
فأنتَ لستَ شجرة

عدوُّكَ ليسَ فأساً
ولستَ شجرةً أيّها الجنديّ.

---

(1) عبارة متداولة في الموروث الشعبي

شجر الأصدقاء

.1

أنا كاذبٌ

لذا لا تُصدّقني إذا قلتُ:

"لماذا في الوقتِ الذي أحتاجُ ظلَّكَ

ورقةً.. ورقةً يا شجرَ الأصدقاءِ تعرى؟"

.2

أتفقّدُ ثلّاجةَ الموتى كلّما حدثت مجزرة،

أمامَ ثلَّاجةِ الموتى أقفُ بعينينِ شاخصتينِ

وقلبٍ يدقُّ..

يدقُّ..

كما لو أنَّ جنديّاً يقرعُ بأخمصِ بندقيَّتهِ بابنا المعدنيُّ

أتفحّصُ في الثلّاجةِ القتلى جثَّةً.. جثَّةً
وحينَ لا أعثرُ على صديقي أهروِلُ إلى منزلي
لأتابعَ نشرةَ الأخبار
فربّما تحدثُ مجزرةٌ في غيابي

كلَّما وجدتُ في ثلَّاجةِ الموتى جثَّةً مجهولةَ الهويَّةِ
أدوِّنُ في مفكرتي: "اليوم.. ماتَ صديقي"
وأبكي...

الآن..
وبعد عامٍ ونصف
مفكرتي امتلأتْ
وصار لدي أصدقاءُ كثيرون جدّاً
ومجهولون جدّاً

لذا لا تُصدّقني إذا قلتُ:
"لماذا في الوقتِ الذي أحتاجُ ظلَّكَ
ورقةً.. ورقةً يا شجرَ الأصدقاءِ تعرى؟".

حكمة الشجرة

حكمةٌ ما..

أنَّ الشجرةَ كالأنبياء على الماءِ تمشي

حكمةٌ ما..

أن تُظِلَّ الشجرةُ الحطَّابَ في الصيفِ

وتؤنسَ ليلَ وحشتِهِ في الشتاء

حكمةٌ ما..

أنَّ "القواربَ تغرقُ والألواح تنجو"

حكمةٌ ما..

أنَّ الشجرةَ سيِّدةُ المعادنِ في البحرِ

لذا حينَ يغضبُ البحر يهملُ المهاجرونَ الذهب

ويدَّخِرونَ الخشب

حكمةٌ ما..

أنْ تتعرى الشجرةُ في كانون

في الوقتِ الذي أرتدي فيه معطفي

كي أتذكّر من يموتون في زمهريرِ المخيَّم

حكمةٌ ما..

أنَّ تطفو جثَّةُ السوري مثل شجرةٍ على الماءِ

وتنقذَ طفلاً من الغرق.

شجرة 3

الشجرةُ..
لا تتعرّى لتسهلَ مهنةَ الصياد
بل لتتبأَ العصافيرَ باقترابِ العواصفِ

الشجرة..
لا ترتدي أوراقها لتحجبَ الشمس
بل لتغزلَ الظل

الشجرةُ لا تنتظرُ كلمةَ "شكراً" حينَ تتبرعُ بأعضائها للآخرين
"مقعدٌ للحديقةِ، سريرٌ للطفلِ، مشجبٌ للملابس"
بل تحاولُ أن تقولَ: "كن مفيداً حتى بموتك"

يقولون: "الشجرةُ متكبرةٌ مثلَ الملوكِ تتعالى على أرضها وترمقها من برجها العاجي"
لأنهم لا ينصتون إلى أنينِ الجذورِ التي تحفرُ الأرض مثل العبيد.

شجر اللغة

الهمزةُ فوقَ الألف،
تقولُ ألمانيّةٌ:
العصفورُ فوقَ الشجرة،
إذاً فالقصيدةُ سعيدةٌ.

الهمزةُ تحت الألف،
تقولُ الألمانيةُ:
العصفور تحتَ الشجرة،
إذا فالقصيدةُ مقبرة

تقولُ:
القصيدةُ حزينةٌ،
العصفور يهجر الشجرة،
انظر كيف يفردُ جناحيهِ في الهواء ويبتعد،
وتشير إلى همزة المدّ.

تقولُ:
القصيدةُ كئيبةٌ،
العصفورُ بلا شجرة،
وتشيرُ إلى همزةٍ على السطر.

تقولُ:
القصيدةُ موحشةٌ،
لا عصافيرَ على الشجرة،
وتشيرُ إلى ألفٍ مفردةٍ.

تقولُ:
القصيدةُ مجزرةٌ،
بقع الدمِ تغطي السطور،
وتشيرُ إلى النقط.

تقولُ:
القصيدةُ قنبلةٌ،
حذارِ من الشظايا،
وتشير إلى الشدّة، السكونِ، الضمّة،... إلخ

تقولُ الألمانيّةُ:
لا أريدُ ترجمةَ القصيدةِ،
لكن.. أيّ حرفٍ كانَ يجرحنا فنبكي وأنتَ تقرأ؟
أهو المثلّم مثل سكّين قديمة؟
وتشير إلى السين في اسمكِ يا "سوريتي".

شجرة 4

كانت محضَ شجرةٍ على هامشِ الغابةِ
ثمَّ صارت بابَ سيّدةٍ
لذا الشجرةُ لم تَمُتْ بل بدَّلت عنوانها من هامشٍ مهملٍ
إلى شرفةٍ تطلُّ على الأساطير

كانت من بعيدٍ تهجئُ ما تدوِّنهُ السحابةُ في كتابِ الريح
والآن عن كثبٍ تتأمّلُ الأساطيرَ تولدُ في مترين من ليلٍ،
كأنْ ينامَ البحرُ في جسدٍ
وتحتشدُ التضاريسُ على الأريكةِ وتشهقُ القبابُ أعلى

كانت تعريها الفصولُ وتحكُّ لحاءها ريحُ المواسمِ كما لو
أنّها حجرٌ
والآن مثلَ مراهقٍ تصابُ بالحمى إذا نهدٌ تعرّى

إذاً.. فالشجرةُ لم تّمُتْ،

بل بدّلت عنوانها من هامشٍ مهملٍ

إلى شرفةٍ تطلُّ على الأساطير.

الشجرة الأخيرة في الغابة

شجرةً.. شجرةً تنقصُ الغابةُ.

لا أفكِّرُ بأصدقاءِ الطبيعةِ الذينَ يبكون الشجرةَ أمام الكاميرا وفي عتمةِ الأقبيةِ يتاجرونَ بالخشب

هنا،

في هذه الجنّةِ المنتقاةِ بعنايةِ الخزّافِ

بيني وبينَ الغابةِ نافذةٌ فقط وتاريخُ الحرائقِ كاملاً،

لكنَّني أحنُّ إلى باديةِ الشامِ،

إلى نوافذِ بيتنا الطينيّ وخبزِ الصاجِ

أحنُّ إلى جرسِ المرياعِ كلّما دقَّ جرسُ الكنيسةِ

وكلَّما رنَّ خلخالُ ألمانيَّةٍ حافيةٍ تعبرُ شارع الصيفِ

أحنُّ إلى خشخَشَةِ الحرمل إذْ يرنُّ من الجفافِ

شجرةً.. شجرةً تنقصُ الغابةُ.

لا أفكِّرُ الآنَ سوى بالشجرةِ الأخيرةِ،

الشاهدِ الأخيرِ على المجزرة،

المعتقلِ الذي يتلمَّسُ أعضاءهُ

وهو يصغي لصراخ الضحايا في غرفةِ التعذيب،

ويموتُ.. يموتُ.. إلى أنْ يحينَ دورُهُ.

حكمة الجذر

شاعران على مقعدٍ في الحديقةِ يصفانِ شجرةً:

يقولُ الأولُ:
"الشجرةُ فكرةٌ بسيطةٌ؛
جذعٌ، وأغصانٌ تعرّي نهدها للغيمِ كي تغري المطر"

يقولُ الآخرُ:
"بل الشجرةُ فكرةٌ عميقةٌ؛
فثمّةَ جذرٌ يثقبُ الأرضَ بحثاً عن الماءِ
حينَ يخذلهُ الغمام"

في السنواتِ العجافِ بعدَ عشرينَ عاماً
كانَ الأولُ يجلسُ على مقعدٍ في الحديقةِ ينتظرُ الغمامَ
ويحلمُ بالمطر،
وكانَ الآخر يحفرُ بئراً ليسقي الحديقة

إنَّها حكمةُ الجذر.

حكمة العشب

العاصفةُ "فريدريكا" تعبرُ الآن،
لو كنتُ شجرةً لانحنيتُ كما تقتضي حكمةُ العشبِ
ريثما تمرّ فريدريكا كي لا أستفزَّ جبروتها وفؤوسَ الهواء

فريدريكا تعبرُ الآن،
بأظافرَ خشنةٍ تحكُّ زغبَ طائرٍ يتشبّثُ بعشٍّ آيلٍ للسقوط،
الطائرُ يعلمُ أنّهُ جملةٌ هشَّةٌ في دفتر الريح،
يعلمُ أنّهُ لغةٌ خائفةٌ لا تنالُ من شراسةِ الخصمِ
لكنّها تستطيعُ أن تقولَ: "لا"
الطائرُ يعلمُ أن العاصفةَ طارئةٌ مثلَ حربٍ،
وأنّهُ مدجَّجٌ بالأمل

لذا يحلمُ أن يصمدَ العشّ تماماً مثلَ سوريٍّ أعزلَ
وراءَ جدارٍ آيلٍ للسقوط ينصتُ إلى جنزيرِ دبّابةٍ تقتربُ
رويداً.. رويداً

العاصفة فريدريكا تعبرُ الآن،
ولا شيء ينجو سوى العشبِ إذ ينحني.

العاصفة فريدريكا، أوسنابروك، ألمانيا: 18-1-2018

حطب

في الغابة..
الشجرةُ وحيدةٌ مثلكَ،
أيّها الوحيدُ في زحامِ المدينةِ

خائفةٌ مثلكَ
تعدو على سككِ الحديدِ والطرقِ السريعةِ ما بينَ العواصمِ،
أيها المهاجرُ

منهكةٌ مثلكَ..
بساقٍ مبتورةٍ وصدرٍ مطرّزٍ بشظايا المعادنِ تقفُ ليلةَ
الميلادِ في الساحات أمامَ الكاميرات وضحكة العابرين

الشجرةُ

تماماً مثلكَ أيّها السوري

فكلاكما حطبٌ لا بدَّ منه كي تستمرَّ المحرقة.

الهجرة من الغابة

في البدءِ كانت الغابةُ
أما الحديقةُ فأبناؤها المهاجرون

في الطريق من الغابةِ نحوَ الحديقةِ تفقِدُ الأشياءُ طباعها والصفات

مثلاً:
يصبحُ الذئبُ كلباً أليفاً في الطريقِ من الغابةِ نحو الحديقةِ
يصبحُ الوعلُ ماعزاً،

والفرسُ الحرونُ تصبحُ طوعَ مهمازِ سائسِها

إلا الشجرة ففي النقيضينِ ذاتُها

لأنّها ليستْ نباتيّةً مثلَ وعلٍ

وليستْ لاحمةً كالضواري،

إنّها مائيّةٌ مثلَ طفلٍ رضيع

لا تجيد المجاملةَ ولا ارتداءَ الأقنعة.

أمام جرَّافة

تشاركني مقعدي في القطار سمرقنديّةٌ وقشتاليتان.
القشتالية التي عقدت شالها بغصن شجرةٍ وتحدّت جرّافةً
منذ عامٍ قالت كلاماً كثيراً عن الشجرة والحبّ.
فهمت نصف الكلام
ونصف الكلام أوّلته كما يشتهي شاعرٌ.

أجلس الآن في الركنِ القصيّ من القصيدةِ
مثلما يجلس في مهبِّ البحر طفلٌ بانتظار الجزر ليجمع الأصدافَ،
أنصتُ للثغةِ الراءِ الخفيفةِ كيف تصنع من كلامٍ ساذجٍ
لحناً يرقِّصُ الشجر الذي يعدو على سكك الحديد،

أنصتُ إلى دبيب النمل في جسدٍ تقتادهُ امرأةٌ نحو النعاس بصوتها المائي.

لكن كيف استفاقت فجأة مفرداتُ الحرب في هذا الحديث الرطب؟

سمرقندِيَّةٌ وقشتاليتان يسألنني الآن عن دمشق

وأنا أحاول أن أقولَ:

"دمشق أنثى عقدت شالها بغصنِ شجرةٍ وتحدّت جرّافةً،

لكن في بلادي لا يوقفُ اللحمُ الحديد".

مديح فساتينها

تماماً مثلما يفعل المراهقون..
من وراء نافذتي أرقبُ جارتي تتعرّى،
تخلع أشياءها قطعةً.. قطعةً

جارتي مراهقةٌ في الأربعين مثلي
ترتدي الأصفر أو برتقالياً فاقعاً لتسخر من خريف العمر

في مديحِ فساتينها كتبتُ فصلاً كاملاً
وقرأتُ سيرتَها عليها كمن يملي وصيّتهُ الأخيرةَ
أو كمن يسردُ آخر الأساطير

في كانون..

عصفورها مات، فرسمت عصفوراً على زجاج نافذتي

لأغريها وأبدّدَ وحشة الشرفات بيننا،

لكنها لم تكترث بي كما لو أنّني شبحٌ، وتابعت التعرّي

الآن..

مثل روحي تقف عاريةً تماماً جارتي شجرة البلوط.

غصن

كلّما زارني

يعلِّقُ على المشجبِ الخشبيِّ أشياءهُ؛

معطفَهُ والحقيبةَ وعكّازهُ المعدنيّةَ

ويقولُ لي:

"علّمني أكتبُ الشعرَ لأمتدحَ الشجرةَ التي أنقذتني

وأرثي ذراعَها المصلوبةَ على الجدار"

ويشيرُ إلى المشجبِ الخشبي.

ورقة أخيرة

القططُ،

الكلابُ،

الطيورُ،

الأسماكُ،

تجّارُ السلاحِ،

المهرِّبونَ،

عمالُ الصحافةِ،

خفرُ الحدودِ،

الساسةُ،

الشعراءُ،

أنا وأنتَ،

إلخ...

وحدها الشجرةُ بريئةٌ من دمِ السوري
لو لم تكن أخمصَ بندقيَّةٍ

وحدها البريئةُ..
لو لم تمدّ غصناً كي تحطَّ حمامةٌ،
وتمدّ غصناً كي يلوذَ وراءهُ الصياد.



II

فهرس المعادن

باب ثلّاجة

ونحنُ عائدون من جنازته وجدنا ساقهُ المبتورةَ،
لكنَّ المساء قد حلَّ، والطريق إلى المقبرةِ مرصودةٌ
بالقنَّاصين،
لذا أفرغنا الثلَّاجةَ ووضعنا ساقهُ المبتورة

الآن.. كلّما فتحتُ بابَ ثلَّاجةٍ أغمضُ عينيَّ
ريثما يستعدُّ قلبي لصدمةٍ ما.

الكلمة – الرصاصة

الرصاصة تصنع جثّةً،
الكلمة تفتح الحرب

خذ بندقيّتكَ الغبيّةَ، أيها الجنرال،
وأعطني لغةً لأفخّخَ التاريخ

تحتاج جيشاً لتخوض معركةً،
أحتاج ثمانيةً وعشرين حرفاً لأنسج راياتِ الطوائفِ
والذرائعَ للحروب

فاحمل بندقيّتكَ الغبيّةَ
واتبعني.. لندحرجَ الأرضَ إلى الهاوية.

شظايا

قلتُ للطبيبِ الذي يسعفُ الجرحى:

"لا تنتزِعْ من أجسادنا الشظايا،

نريدُ أن نحملَها معنا إلى الله لنقولَ لهُ:

هم ربحوا الحربَ ونحنُ جئناكَ بالنياشين،

خذها يا الله وضعها في موازيننا،

علَّها ترجحُ – مرّةً – كفَّةُ شعبِنا المقهور".

ساق معدنية

ما الحكمة؟
ما الأمل؟
وما الفكاهةُ في بلادي؟

الحكمةُ:
أنْ تقولَ أمٌّ للشاعرِ الذي يلهب حماسة الجند:
"لا تُجمِّلِ الموتَ،
فالجنديُّ لا يَمُوتَ واقفاً مثلَ شجرةٍ في المعركة"

الأملُ:
سؤالُ طفلٍ بريءٍ حينَ تسقطُ أسنانَهُ اللبنيَّةُ:
"هل ستنمو ساقي المبتورةُ مثل سنّي
لألعبَ مع أصدقائي الكرة؟"

الفكاهةُ:

أنْ يقولَ رجلٌ نجا من المجزرةِ بساقٍ معدنيَّةٍ

لرجلٍ نجا من المجزرةِ بساقٍ معدنيَّةٍ:

"نستطيعُ أنْ نشتري حذاءً واحداً لشخصين".

علبة سردين

علبة السردين

مقبرةٌ جماعيّةٌ أنيقةٌ..

لا تصلح أن تكون قصيدةً

ولا تصلح أن تكون وجبةً عائليّةً

ولا خبراً عاجلاً

هي وجبة الجنديّ..

ينجزها على عجلٍ في الطريقِ إلى مقبرةٍ جمَّاعيّة.

نظّارة

الذي سقط ما بيننا في العناق الأخير
كان محض نظّارةٍ؛
قضيبينِ معدنيينِ
وقطعتي زجاجٍ
إحداهما مشروخةٌ بصدعٍ صغيرٍ
كما لو أنّهُ نهرٌ صغيرٌ على الخريطةِ

لقد مرَّ عامٌ
لكنّني لم أصلح الصدعَ الصغير
ومنذ افترقنا إلى الآن أرتدي نظّارتي التي سقطتْ
ما بيننا في العناق الأخير

كي أرى العالم كما ينبغي
هشًّاً مثل الزجاج
ومحطّماً كمدينةٍ سوريةٍ.

مسدس

قبل ثلاثين عاماً

سألني أبناءُ جارنا الضابط:

"ألدى أبيكَ مسدسٌ؟"

قلتُ: "لا"

قالوا: "إذاً ستكونُ اللصَّ في اللعبة ونحن البوليس"

مرّت الثلاثون عاماً واندلعتِ الحربُ يا الله

ولم يزل أبناء جارنا الضابط يطاردونني بمسدساتهم،

وأنا كذلك لم أزل أؤدي دورَ الضحيّة.

ملاقط

مثل ضحكاتهم..
كانت الملاقطُ المعدنيّةُ تلمعُ في أيدي الجنود
وهم يقتلعون الأسنان من فمِ الضحيّة.

III

سيرة ناقصة

دمشق

ليسَ آدمُ وحدهُ مَنْ أضاعَ جنَّةً،
أنا كذلكَ وُلِدتُ في دمشقَ
ثمَّ نفيتُ إلى العدم

الثلاثمئةٍ وخمسٌ وستونَ جثّةً
التي تملأُ ثلاجة العمر ليست عاماً،
إنّها المقبرةُ الجماعيَّةُ التي ينجزها كلّ عامٍ غيابكِ،
أيَّتها القريبة مثلَ دمعةٍ
أيَّتها البعيدةُ كالفرح

الثلاثمئةٍ وخمسٌ وستونَ جثّةً كلّها أنا،
أنا في غيابكِ كلَّ يومٍ أموت.

رأس السنة

هلّلويا

هلّلويا

هلّلويا

أربعون عاماً،

اثنان وسبعونَ كيلوغراماً ونصف،

نظّارةٌ طبيّةٌ،

شظيةٌ في الركبةِ اليسرى،

ندوبُ سجائرَ في الذراعِ،

قلبٌ مستعملٌ،

نصفُ ذاكرةٍ،

نباتيٌّ،

ولاحمٌ بتناولِ الأخبار،

أفريقيّ في تموز،

وفي كانون حنطةُ الأبيضِ المتوسطِ،

خلنٌ فيزيولوجيٌ بحرفِ السين

وسيكيولوجيٌ من مفرقعاتِ العيدِ وبزّةِ الكاكي والطائرة،

أؤدّي دوري جيّداً، لكنّني قد لا أنجبُ الأطفالَ بعدَ الحرب،

فوضويٌّ في مواعيدِ الطعام،

هادئٌ جداً،

أليفٌ مثلَ فئرانِ التجاربِ،

لا تؤرّقني الحياةُ ولا الذكرياتُ،

كنتُ سوريّاً ثمَّ صرت مشرّداً والآن أحيا لاجئاً

وغداً أصيرُ ما لستُ أعرفُ

لا يؤرّقني كثيراً حادثُ المترو أو اصطدامُ حافلتين

على الدربِ السريع..

فكلّه موتٌ جماعيٌّ سريعٌ يدخلُ نشرةَ الأخبارِ بضعَ دقائقَ

ثم يذوبُ كرغوةِ الصابونِ

أذكرُ:

عشرَ مرّاتٍ غسلتُ أصابعي لأزيلَ رائحةَ الشواءِ الآدميّ، واحتجتُ أسبوعين كي أمحو الطنينَ وصرخةَ طفلةٍ فقدتْ ذراعاً، وعاماً كاملاً كي أستطيعَ النوم

لا يؤرِقني الخرابُ ولا النزوحُ،

كلّما حنَنْتُ إلى الماضي سرتُ صوبَ الذكرياتِ

لكي أرمِّمَ ما تهدَّمَ؛

غرفةَ النوم،

الممرّ،

الشرفة،

الباب،

النوافذ،

قلب أمي والقصيدة...

لا يؤرّقني سوى الطفولة حين ترتدي بزَّةَ الكاكي
وتحملُ معدناً صدِئَ الأظافرِ
يغتالُ الحياةَ كلَّ يومٍ ويقرعُ الأجراسَ في رأسِ السنة

هلّلويا
هلّلويا
هلّلويا.

حبل

قبلَ خمسةٍ وثلاثينَ عاماً
سألتُ أمّي عن حبْلٍ يقيِّدُ معصمها بساقي،
فأخبرتني أنّني أمشي أثناءَ نومي،
كانَ لي حياتانِ؛ نهاريَّةٌ مملّةِ أمارسها كالآخرينَ،
وليليَّةٌ تنسلني من حضنِ أمّي
وتفتحُ بابَ منزلنا على الأساطيرِ.
لم يكُن حبلاً طويلاً،
كان يكفي لأمشي قليلاً وأشربَ الماءَ
والآن..
لقد طال الحبل يا أمّي وأخشى أن أضيع.

متطرف

متطرفٌ أنا،

لذا لا تصدّقني حين أكتب:

"أستطيعُ أن أعيشَ وأخي العدوّ في شقةٍ واحدة"

كنتُ أعمل محاسباً في المجزرة

أضعُ في كيسٍ واحدٍ عشرَ أصابع، قدمين، رأساً،

وبضعةَ كيلوغراماتٍ من اللحم المفتَّتِ

ثمَّ أكتبُ على الكيسِ: "جثة كاملة"

لم أكن أخطئُ في الرياضيات
لكن يحدثُ أن أصنعَ ستةَ أكياسٍ لسبع جثث
حينَ تتبخّرُ جثةُ طفلٍ في المجزرة
لذا أعيدُ إحصاءَ الأصابعِ مرةً أخرى
وحينَ لا أعثرُ على فائضٍ أستعيرُ من كلِّ كيسٍ
قطعةَ لحمٍ، بضعَ أصابع وفردتي حذاءٍ لأصنعَ جثةً،
كي لا تعودَ إلى البيتِ أمٌّ دونَ جثّةِ طفلها

يحبونني لأنّني أقسّمُ اللحمَ على الأمهاتِ بالتساوي
أنا مثلهنَّ؛ أحملُ الجثثَ كلّ يومٍ من المجزرة إلى المقبرة
دون وداعٍ يليقُ بهذي الهدايا التي يرسلها أعداؤنا إلى الله.
أنا مثلهنَّ حينَ أعودُ إلى البيتِ
ولا أجدُ طفلاً أربّيهِ على الحبِّ، أربّي على الحقدِ قلبي
أنا مثلهنَّ متطرّفٌ
لذا لا تصدّقني حينَ أكتب:
"أستطيعُ أن أعيشَ وأخي العدوّ في شقةٍ واحدة".

حفرة في بلادي

وأنتَ تقفُ بكتفٍ مائلةٍ من ثِقَلِ البندقيَّةِ
لا تحدِّثني عن ميزانِ العدالةِ
أيُّها الجنديّ

عن الليلِ لا تحدّثني..
أيُّها العاشقُ،
فأنا أخافُ النجمَ مذْ رأيتهُ يلمعُ فوقَ أكتافِ الجنودِ
في المجزرة

لا تحدِّثني عن الأشجار وأنتَ تحملُ الفأسَ
أيُّها الحطّابُ،
لقد كنتُ شجرةً قبلَ أن تجتثّني الحربُ من بلادي

ولا تحدّثني عن الحياةِ
لأنّهم يرون موتي مفيداً
كأنْ ترمِّمُ جثّتي حفرةً في بلادي.

صديقي الديكتاتور

العاصفةُ مهنةُ البحر، والغرقُ مهنتي

لذا أنا والبحرُ صديقان جدّاً

ومتّفقان في حسم الصراعِ؛

فيومٌ لهُ.. ويومٌ عليّ.

لا أقْرَبُ البحرَ حينَ يغضبُ

ولا أمازحهُ،

بل "أبني لهُ قلعةً رمليَّةً ليهدمها"[2] ويهدأَ مثلَ طفلٍ.

---

(2) فايز العباس.

لم أتعلّمِ السباحةَ لئلا أكسرَ هيبةَ البحر،

ربّما يحزنهُ أن أقولَ:

"أتعلّمُ السباحةَ لأروِّضَ البحرَ كما يفعلُ السائسُ بالفرسِ الحرون"

لا أقولُ: "البحرُ يغدُرُ"، ولا أديرُ له ظهري،

لكنّني أحذَرُهُ كالأصدقاء الذينَ يثيرُ سكاكينَهم ظهرٌ أعزلُ

صديقان جدّاً أنا والبحرُ

نقتسمُ انتصاراتِنا بالتساوي ولا نختلفُ على الضحايا،

هو يصطادُ أهلي في بحرِ إيجة نازحاً.. نازحاً،

وأنا..

سمكةً.. سمكةً أفرغُ البحر من سكانه وأغرقهم في الهواء.

هو..

مثل ساحرٍ تبتلعُ قبعتهُ الزرقاء أهلي

ثمَّ تخرجهم شجراً يطفو على الماء،

أنا..

أصنع لأهلهِ مقبرةً جماعيةً أنيقَةً في المحرقة،

ثمَّ ألتهمهم مثلَ وحشٍ.

أنا والبحر صديقان جدّاً

هو قاتلٌ محترفٌ

وأنا ضحيّةٌ مبتدئةٌ تتدرَّبُ على الغرق.

من يشتريني؟

من يشتريني؟
من يشتري كلباً أربعينيّاً مريضاً؟
"كنت أهذي في دمشق"

كانَ يمكنُ أنْ أكونَ جثّةً منسيَّةً في ثلّاجةِ المشفى،
وكانَ يمكنُ أنْ أكونَ رقماً في قبرٍ جماعيٍّ،
أو ربّما جثّةً مجهولةَ الهويَّةِ
أو خبراً عاجلاً

لكنْ..
من حسنِ حظّي أنَّ لي قلباً ضعيفاً
لم يصمُدْ طويلاً في غرفةِ التعذيبِ،

من حسنِ حظّي أنَّ ضابطَ التحقيقِ ظنَّ أنّ كلباً أربعينيّاً
مريضاً لا يساوي أكثرَ من ألفِ دولارٍ،
من حسنِ حظّي أنَّ لدى صديقي ألفَ دولارٍ كي يشتريني،
من حسنِ حظّي أنَّني كلبٌ يباعُ ويشترى
ويُسعِدُ طفلةً سوريّةً في ميلادها.

23 درجة تحت الأرض

.1

كنت أعلمُ أنّني لن أعودَ من المعتقل،

الذي عاد رجلٌ سوايَ

أقلّ بصيرةً وأشدّ طيشاً

.2

لا شيء يحدثُ في غرفة التعذيب،

إنّهم يوقظونَ فينا الذئابَ التي هذّبتها الحضارةُ

ويعيدونها إلى الغابةِ

.3

انتصرت على الحمى والبرد

لأنّ صديقي الذي ألبسني معطفَه الرثَّ

لم يَعُدْ من غرفةِ التعذيب

.4

فـي الزنزانةِ الرطبةِ المظلمةِ تحتَ الأرضِ

بثلاثٍ وعشرين درجةً نسيتُ الكلام،

ونَمَتْ لديَّ حاسةُ الشمّ،

مثل كلبٍ بتُّ أعرف رفاقي من روائحهم

.5

بعينينِ معصوبتين وذراعين مقيدتين إلى الخلف

تدمينا كعوبُ البنادقِ ونحن صاعدونَ السلالم

إلى غرفة التحقيق.

لا نريدُ محاكمةً عادلةً يا الله فليكن موتاً سريعاً

لا تمتحنّا بالقيامةِ مرتين.

النباتي

جدي..

الفتى الذي قلتَ له: "أمسك لي ديكاً لأذبحهُ لكَ"،

عاشَ نباتياً بعدَ ذلكَ حزناً على الديكِ،

أو جباناً كما يروون عنه

الفتى الذي لم تصقلِ المجازرُ قلبهُ الهشَّ،

لا يشغلهُ في العامِ الثالثِ من الحربِ سوى سؤالٍ واحدٍ:

- ماذا ستفعلُ لو أسَرْتَ جنديَّاً جريحاً؟
- ربّما أقيّدهُ إلى سروةٍ تحت المطر وأرقبهُ من النافذة.
- ثمَّ ماذا؟
- ربَّما أدخلهُ بعد ساعةٍ منزلي حينَ يغمى عليه

- ثمَّ ماذا؟
- ربَّما أسقيهِ ماءً، أو أصفعهُ: "أفِقْ يا ابنَ الكلبِ، ولا تمُتْ دفعةً واحدة"
- ثمَّ ماذا؟
- ربّما كي أوقفَ النزفَ أضمّدُ جرحه بشالِ ابنتي، وربَّما أسألهُ: ألديكَ عائلةٌ وأطفال؟ وأمنحهُ وقتاً ريثما يؤلّفُ كذبةً ينجو بها
- ثمَّ ماذا؟
- ربّما أحدّثهُ عن الفتى الذي قالَ لهُ الجدُّ: "أمسك لي ديكاً لأذبحهُ لكَ"، فعاشَ الفتى نباتياً بعدَ ذلكَ، أو جباناً كما يروون عنه
- ثمَّ ماذا؟
- ربّما أفكُّ وثاقهُ حينَ يغفو
- ثمَّ ماذا؟

- ربَّما أدير له ظهري، وأنام مثل سمكةٍ بعينين مفتوحتين، وأحلمُ أن يحكي لأطفاله حينَ ينجو عن الفتى النباتيِّ الجبان.

أساطير

رأيتُ ما يكفي لأكتب أسطورةً

في مخيّم اللجوء، في كانون،
رأيتُ طفلاً يبولُ على أصابعه..
يدفئها قليلاً ريثما يجد الحطب

في غرفة التعذيب
أشدُّ وثاق صديقي وحين يفرغونَ منهُ يشدُّ وثاقي،
هكذا يوقظون في الصديقِ العدوَّ

في المجزرة
نرتبُ الأشلاء مثلما يرتب طفلٌ لوحة "البزل" المفكَّكة

... إلخ

رأيت ما يكفي لأكتب أسطورةً.

ثلج

وحيداً على الجسر
تتأملُ عمركَ المنهوب وطواحين الهواء

وحيداً تتأمَّلُ الطائرات التي تحرثُ الريح،
تتأمّل الريحَ تكنسُ الغيمَ عن سماءٍ أقلّ ارتفاعاً
من سماءِ دمشقَ،

وحيداً تتأمّل الأطفال على السفح سعداءَ
يتراشقون بالثلجِ والكلماتِ البذيئةِ

وحيداً تهمسُ: "هذا الحياديّ الذي تعبثون بفروهِ الأبيضِ
قاتلُ أطفالنا في الخيام".

إلى شاعرٍ ما

المسافةُ الرماديةُ بين قلبكَ الأسود
وقصيدتكَ البيضاء
هي الرصاصةُ بين المسدَّسِ والضحيَةِ

أنا وأنتَ نتابع الحرب كما لو أنّها حادث طائرةٍ؛
أنا أفكّر بالضحايا كما لو أنّهم أهلي وأهلكَ،
وأنتَ لا تفكر سوى بالصندوق الأسود
كما لو كنتَ إعلامَ الحكومةِ

كنتُ أعلمُ أنّنا لن نلتقي منذُ ارتديتَ بزَّةَ الكاكي
وأخبرتني أنّنا مستقيمان متوازيان.

مكتبتي

"لأنَّ اللصوص لا يقرؤون والقرَّاء لا يسرقون"

تركتُ مكتبتي في هنانو،

قلتُ:

"كتابٌ واحدٌ..

قد يسخِّنُ كوبَ حليبٍ لطفلٍ على حافةِ الموت برداً،

بضعةُ كتبٍ..

قد تخبزُ بضعةَ أرغفةٍ لعائلةٍ نازحة،

قصيدةٌ..

قد تصنعُ طائرةً ورقيّةً

تُدخِلُ البهجةَ إلى قلبِ طفلٍ فقدَ أُمَّهُ منذُ يومينِ

في المجزرة"

لأنَّ اللصوص لا يقرؤون والقرَّاء لا يسرقون

تركتُ مكتبتي في هنانو،

الذينَ زاروا أطلالَ بيتي هناكَ أخبروني

أنَّ نازحةً لم تجدْ حطباً في زمهريرِ الشتاءِ

فاستعارت المكتبة.

شكراً للكتبِ التي دفَّأتْ أقدام الصغار

وخبزت أرغفتَهم الفقيرة.

ملف لجوء

في محكمة اللجوء، حينَ سألني المحقِّق عن مهنتي،
لم أقل له كنتُ أعملُ حفّارَ قبورٍ كي لا أخدشَ قلبه الطفل

لم أقلْ له حينَ سألني عن أمنياتي:
"أريدُ حينَ تموت طفلتي أن أدفنها قطعةً واحدةً كالآخرين،
لقد مللتُ جمعَ أصابعِ الأطفال"

حينَ منحني المحقّقُ اللجوءَ وقالَ: "نجوتَ"

لم أقل لهُ: "لديّ مقبرةٌ جماعيّةٌ في بلادي،

أنا هناكَ منذ ستِّ سنينَ إلى الآن كلّ يومٍ أموت"

في المحكمة كنتُ وحيداً

كما لو أنّني الناجي الأخيرُ من سفينةٍ غرقت.

شريط إخباري

قطرة،

قطرتان،

عشرٌ...

مثل صنبورٍ معطلٍ

المصلُ يسري والمخدرُ

هذه الأيام

لا أقرأ الشعرَ

ولا حالةَ الطقس،

لا أرثي هنانو

ولا أشتُمُ الحربَ

ولا الجندَ؛ أصدقائي القدامى/ أعدائي الجدد

ولا أفعلُ أيَّ شيءٍ سوى العدّ
قربَ زوجتي التي تدنو من الأربعين كيلوغراماً
بقلبٍ متعبٍ ونبضٍ يكسر الإيقاع

مثلَ طفلٍ جافاهُ النعاسُ أمارسُ العدَّ ريثما أغفو؛
قطرة،
قطرتان،
عشرٌ...
فقاعاتُ الهواءِ في أنبوبةِ المصلِ شريطُ أخباري المفضل.

قبو414، مدينة هنانو

عشرونَ درجةً..
المسافة/ البرزخُ بينَ عتمة تمّوز وتَفتّح شقائقه في الأعلى
أعني أحمر الشفاه الذي تدمنه مدينتي

العشرونَ درجة..
تلحس الضوء عن قدميّ هابطاً،
وتدهنهما برسائل العنكبوت صاعداً

أهبط العشرين درجة..
وأصعدها مغمضَ العينين وسائر الأعضاء
ببراعة أنامل صديقي الكردي على عنقِ البزق

كمن يذهبُ إلى موعدِ امرأةٍ أهبط الدرجات عدْواً،
وأصعدها واحدة.. واحدة كاللصوص

العشرون درجة..
ليست سلّماً موسيقياً
وليست درساً لتعلّم رقصةِ النقر الإيرلندي
إنها المسافة بين وميض القذيفة وعتمة النجاة

أهبط العشرين..
لأسخرَ من صفيرِ القذيفةِ،
وأضحك..
أضحك..
أضحك بانتظار القيامة.

حسن إبراهيم الحسن

وُلِدَ في جديدة الجرش، ريف دمشق 24 مارس 1976

تخرّج في جامعة حلب، المعهد المتوسط التجاري، قسم المحاسبة

يقيم في ألمانيا.

صدر له:

- (المُبَشَّرون بالحزن) ديوان شعر، دائرة الثقافة والإعلام في حكومة الشارقة، الشارقة 2008.
- (غامض مثل الحياة وواضح كالموت) ديوان شعر، دار الصدى، دبي 2015.
- (خريف الأوسمة) ديوان شعر، منشورات زين، الخرطوم 2015
- (كالصدأ العنيد على الصواري) ديوان شعر، عن دار ميم للنشر، الجزائر 2017.
- (ها أنتَ وحدي) ديوان شعر، منشورات شباب النهرين، دمشق 2010.
- (نكتب التاريخ) باللغة الألمانية، منظمة Exil، كتاب مشترك لعدد من الكتاب المهاجرين، أوسنابروك 2020.
- (نصوص من المنفى) باللغة الألمانية، اتحاد كتّاب هامبورغ، كتاب مشترك لعدد من الكتاب المهاجرين، هامبورغ 2018.

تمت مناقشة أطروحة ماجستير عن شعره في جامعة السلطان قابوس في مسقط بعنوان (البنية الدرامية في الشعر الثوري السوري المعاصر، من 2011 إلى 2015، حسن إبراهيم الحسن ونوري الجراح أنموذجاً).
تُرجمت مختارات من شعره إلى الألمانية والفرنسية والإسبانية والإنكليزية.

حاز عدداً من الجوائز:

- جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي 2014، عن كتابه (خريف الأوسمة)، الخرطوم.
- جائزة دبي الثقافية 2012 – 2013، عن كتابه (غامضٌ مثل الحياة وواضحٌ كالموت)، دبي.
- جائزة دبي الثقافية 2006 – 2007، عن كتابه (ها أنتَ وحدي)، دبي.
- جائزة الشارقة للإبداع العربي 2007، عن كتابه (المُبَشَّرون بالحزن)، الشارقة.
- جائزة طنجة الشاعرة 2012، المغرب.
- جائزة حلب عاصمة الثقافة الإسلامية، 2006 – 2007، حلب.
- من بين المشاركين في نهائي برنامج أمير الشعراء، الدورة الثانية 2008، أبو ظبي.

- جائزة وزارة الثقافة (سليمان العيسى) 2008 دمشق.
- جائزة قناة المُستَقِلَّة 2011 لندن.
- جائزة البحتري الشعرية 2005 حلب.
- جائزة عكاظ الشعرية 2006 إدلب.
- جائزة أبي الفداء الشعرية 2006 حماة.
- جائزة ربيعة الرقّي الشعرية 2006 الرقة.
- جائزة ربيعة الرقّي الشعرية 2011 الرقة.
- جائزة الجولان الشعرية 2006 القنيطرة.
- جائزة الجولان الشعرية 2011 القنيطرة.
- جائزة اليرموك الشعرية 2007 دمشق.
- جائزة الجولان للقصة 2007 القنيطرة.
- جائزة ثابت بن قرة الحرّاني 2011 الرقة.



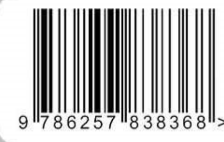


شجرة الميلاد ضحيتنا الأنيقة،
نزين جثتها وننصبها في الساحات
لنلتقط معها الصور التذكارية
مثلما يفعل الجند في بلادي بعد المجزرة

لستُ فأساً ولستُ شجرة



حسن إبراهيم الحسن





SONÇAĞ YAYINCILIK MATBAACILIK
İstanbul Cad. İstanbul Çarşısı No.: 48/48
İskitler 06070 ANKARA
T: (312) 341 36 67
soncagyayincilik@gmail.com
www.soncagyayincilik.com.tr

